يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي

زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف

زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي

إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ

حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ

وقُل سَلامٌ من الله الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.: ب ت/ ٨١٦٥/٤
Date ٢٠/٧/٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

ة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

ابراهيم
نموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي
هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٨) صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م المجلد الخامس

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الحاكمية السياسية للانسان الكامل عند صدر المتألهين	الباحث: حسين صدام مطشر أ.د.حميد رضا شريعتمداري د. مجيد مرادي	٨
٢	The Role of Nature in English Literature: From Romanticism to Ecocriticism	Inst.HusseinKa-him Zamil	٢٢
٣	الإرهاب من منظور الفقه والقانون الدولي	م.م. حميد مرهون سالم أ.م.د. علي رضا ابراهيمي	٣٠
٤	الإرث البيئي للإسلام دراسة في إسهامات المسلمين التاريخية والمعاصرة في حماية البيئةومواقفه	الباحثة: حنين ليث كامل كاظم أ.م.د شكرية حمود عبد الواحد	٤٢
٥	عناد التصميم وعلاقتة بمهارات السلوك التوكيدي لدى اطفال الرياض	الباحثة:هديل طلال عبد الرحمن	٥٢
٦	الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة الإيرانية ١٩١١ – ١٩٢٥	م.د.صادق فاضل زغير	٧٠
٧	مصنفات أنساب الأنبياء وأنساب الطالبيين	الباحثة: دعاء علي هاشم أ.م.د. رحيم عباس مطر	٨٦
٨	ظاهرة التكرار في ديوان ابن عمار الأندلسي	الباحثة: دنيا عبد الرحيم سويد	١٠٢
٩	الخصائص الشرعية في تطبيق القواعد الفقهية على التعاملات المالية	الباحثة: دنيا عصام شهاب	١١٤
١٠	التفاوت الطبيعي بين الناس عند إخوان الصفا وخلان الوفاء	دينا فاروق جاسم عفات أ.م.د. قيس فالح ياسين	١٢٦
١١	التوجيه التداوليّ لمتضمّنات القول في النّص القرآني	الباحث: رعد محسن عبد أ.د. نعمة دهش فرحان	١٤٢
١٢	Exploring the semantic systems in Psychiatrists' inter-viewson addiction in English: a cognitive semantic study	Raghad Hakeem Mudheher	١٦٢
١٣	نشأة التداوليّة ومُصطلَحاتها	الباحثة: رنا خزعل ناجي أ.د. علي حلو حوّاس	١٨٠
١٤	حنان اللحام وجهودها التفسيرية «دراسة تحليلية نقدية»	رونق معمر عبد الله أ.م. د.سناءعليوي عبد السادة	١٩٦
١٥	معايير جودة البيئة المدرسية الصديقة للطفل دراسة ميدانية في مدينة الصويرة	الباحثة: زهراء علي جعفر	٢٠٦
١٦	مراحل النمو الإنساني في منظور الفكر الإسلامي(دراسة تحليلة)	الباحثة: سجى سامي حسين أ. د. مروان عطا مجيد	٢١٦
١٧	آراء الفراء النحوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني «عرض وتحليل»	الباحث سرمد سليمان مهدي أ. د. محمد خضير مضحي	٢٢٨
١٨	أعراف وعادات اقراها الفكر الإسلامي	الباحثة: سيناء باسل عبد الكريم أ.م. د. خالد فرج حسن	٢٣٨
١٩	تشكيل الصورة الحسية في شعر عدي بن ربيعة التغلبي	م. م. عزيز كريم مهدي	٢٥٠
٢٠	أثر الحروب على المعاهدات الدولية	م. م. علاء مهدي الشمري	٢٦٤
٢١	التخريج الفقهي والأصولي لمسألة زكاة القاصر»الصبي والمجنون»	م. م. على زامل سعدون	٢٧٤
٢٢	الاخلاق والسياسة في فلسفة سبينوزا	م. م. علي خالد عبد علي	٢٨٨
٢٣	المداخل الشيطانية وعلاجها على ضوء القرآن الكريم	م. م. علي عبدالرضا حوشي	٢٩٨
٢٤	الظواهر الغبارية وأثرها على مرض الربو في مدينة الكاظمية	م. م. تبارك طالب عبد الحسن	٣١٤
٢٥	فاعلية استراتيجية عجلة الذاكرة في تحصيل طالبات الصف الرابع الاعدادي في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية	م.م. سرور ثامر حميد	٣٢٦
٢٦	دراسة آراء المستشرقين في نزول الآيات القرآنية	الباحثة: انتصار لفتة عبد الحسين	٣٤٠
٢٧	المُعرَّب والدخيل في نهج البلاغة: دراسة بلاغيَّة– تداوليَّة	م. م. فاطمة عبد المهدي حميد م.م فاطمة محمود عباس	٣٥٠

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

التوجيه التداوليّ لمتضمّنات القول في النّص القرآني

الباحث: رعد محسن عبد أ.د. نعمة دهش فرحان
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
يتناول البحث التوجيه التداولي لمتضمّنات القول في النصّ القرآني، من خلال دراسة ظاهرة الاستلزام الحواري التي قعّد لها الفيلسوف البريطاني (بول غرايس). إنّ البحث يفصّل القول في كيفية خرق قواعد مبدأ التعاون (الكم، الكيف، المناسبة، والطريقة)، إذ يولّد خرق هذه المبادئ معانيَ ضمنية تُفهم في ضوء السياق. ويناقش البحث تطبيق النظرية على نصوصٍ قرآنية، وبيان كيف يُستعمل الانزياح أو الإطناب لإيصال مقاصد أكثر عُمقًا. كما يُعالج البحث الجدل القائل بأنّ بعض صور الاستعارة أو المجاز تُمثِّل خَرقًا لمبدأ (الصدق) في قواعد (غرايس)، ويُثبت بما لا يقبل الشكّ أنّ النصّ القرآني لا يحتوي كذبًا، إنّما يستعمل أساليب بلاغية تُعبّر عن مقاصد دقيقة تتطلَّبُ فهمًا سياقيًا يتجاوز المعنى الظاهري للآية.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، التوجيه التداولي، النص القرآني، مبدأ التعاون.

Abstract:
This study explores the pragmatic orientation of implicatures in the Qur'anic text through the lens of Paul Grice's theory of conversational implicature. It examines how violating the maxims of the Cooperative Principle generates implied meanings and highlights Qur'anic examples involving such violations, especially in terms of quantity and quality. The research emphasizes that these rhetorical devices are not falsehoods but deliberate communicative strategies requiring contextual interpretation beyond surface meaning.

Keywords:Conversational implicature – pragmatic orientation – Qur'anic text – Cooperative Principle

المقدمة:
ارتبط ظهور مفهوم الاستلزام الحواري بمقالات الفيلسوف الأمريكي ((بول غرايس))، لا سيما في بحثه الموسوم (المنطق والمحادثة) الذي أصله مجموعة محاضرات عرفت باسم (محاضرات وليم جيمس) ألقاها غرايس في جامعة هارفاد عام ١٩٦٧، ولم ينشر كاملاً حتى عام (١٩٧٥)(١)، عمد فيه غرايس إلى إيضاح الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد، أي بين المعنى الحرفي الذي تعنيه العبارات بقيمها اللفظية، والمعنى الضمني الذي يريد المتكلّم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن المتلقي قادرٌ على الوصول إلى قصد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال و وسائل الاستدلال(٢). وما ينبغي التأكيد عليه هنا أنّ هذا الاستدلال على قصد المتكلم ليس برهانياً، «فالاستلزام (الحواري) هو قضية معبر عنها ضمنياً بواسطة ملفوظ دون أن يستلزمها منطقياً»(٣)، إذ تنقسم المعاني الضمنية على قسمين : معانٍ عرفية ، ومعانٍ حوارية أو سياقية، فالمعاني العرفية هي المعاني التي ترتبط بالجملة ارتباطاً لا يتأثر ولا يتغيّر بتغيّر السياقات، ومنها الاقتضاء، والاستلزام المنطقي، أما المعاني الحوارية فهي تلك المعاني التي تتولد طبقاً للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة(٤).

يرى ((غرايس)) أنَّ الاستلزامات الحوارية تتولد من خرق أحد المتحاورين لإحدى قواعد الحوار المتفرعة عن ((مبدأ التعاون))، وهو المبدأ التداولي الأول الذي نصّ عليه غرايس في محاضراته المذكورة آنفاً، وصيغة مبدأ التعاون هي: (ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه)(٥)، إذ يقتضي هذا المبدأ تعاون المتحاورين على إنجاح عملية التواصل، وتحقيق الغاية من التحاور، وباتباعهم القواعد المتفرعة عن هذا المبدأ، التي هي بمنزلة الضوابط التي تضمن تمام الإفادة من الحوار، تكون المعاني التي يتناقلها المتحاورون صريحة وحقيقية، وتوصل غرايس إلى تمييز

أربع مقولات، يتفرع منها عدد من القواعد، وهي:

مقولة الكم: وتعنى بكمية المعلومات التي ينبغي توفيرها، وتتفرع منها قاعدتان،

أ ـ اجعل مساهمتك تتضمن أخباراً كافية، أي ليست أقل من المطلوب.

ب ـ لا تجعل مساهمتك تتضمن أخباراً أكبر من المطلوب.

مقولة الكيف: لتكن مساهمتك في الموضوع صادقة، وتتفرع منها قاعدتان، هما:

أ ـ لا تصرح بما تعتقد أنه كاذب.

ب ـ لا تصرح إلّا بما تستطيع البرهنة عليه.

مقولة المناسبة: ووضع غرايس تحتها قاعدة وحيدة، هي: قل ما له صلة بالموضوع. أي: اجعل مساهمتك ملائمة، أو ليناسب مقالك مقامك.

مقولة الطريقة: وهذه المقولة لا تتعلق بما قيل، بل تتصل بالكيفية التي ينبغي بها قول ما قيل، وتتفرع منها مجموعة من القواعد، هي:

أ ـ ليكن تدخلك واضحاً.

ب ـ اجتنب الغموض.

ت ـ اجتنب الالتباس.

ث ـ عليك بالإيجاز

ج ـ كن منظّماً(٦).

وفي حال خالف المتخاطبان أو أحدهما بعض هذه القواعد مع احترامهم مبدأ التعاون فإنّهما يلوّحان بالمعاني الضمنية المستلزمة حوارياً، «ويقترح غرايس أن توصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي انطلاقاً من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باعتبار أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام، مبدأ التعاون»(٧).

وللاطلاع على أمثلة الاستلزامات الحوارية الناتجة عن خرق قواعد التخاطب، نتوخاها في تطبيقات الباحثين لهذه الظاهرة في النص القرآني المبارك.

أولاً : خرق مقولة الكم: وفي هذا النوع من أنواع الاستلزام الحواري يعمد المجيب إلى إجابة السائل بأكثر أو أقل مما هو مطلوب، حسب قاعدتي المقولة، أي إنّه عدول كمّي بالزيادة أو بالنقصان، ومن الأمثلة القرآنية التي عدّها الباحثون من العدول الكمّي بأكثر من المطلوب، جواب موسى ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ)(١٨طه)، حيث يبدو أن موسى(عليه السلام). أطنب(٨). في الجواب، فما هو المعنى المستلزم لجوابه بأكثر من المطلوب؟

ترى الدكتورة (نادية رمضان النّجار) في هذا النّص القرآني استلزاما حواريا متولدا من خرق مقولة الكم، إذ سأل الباري عزّ وجلّ موسى ـ عليه السلام ـ عما في يمينه، فكان المتوقع أن يجيب بأنّها (عصا)، قالت :« فكان يكفيه أن يقول: (عصا)؛ لكنه ذكر المسند إليه لبسط الكلام، وليزداد شرفاً وفضلاً بطول مناجاته لربه؛ ولذلك زاد في الجواب فقال: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ) ليطيل من سعادته باتصاله بالحضرة الإلهية»(٩).

بما أن الدكتورة (نادية النجار) نصّت على الآيتين، آية الاستفهام، وآية الجواب، فكان ينبغي أن يبدأ الكلام حول الاستلزام الحواري في الآيتين الكريمتين بالاستفهام الوارد في قوله تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧)، فإنّه استفهام على غير حقيقته، إذ لا يراد به طلب الفهم، يقول (ابن فارس ت ٣٩٥ هـ) عن الاستفهام: «ويكون استخباراً والمراد به الإفهام. نحو قوله جل ثناؤه:(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧) قد علم الله أنّ لها أمراً قد خفي على موسى عليه السلام فأعلمه من حالها ما لم يعلمه»(١٠). وقد ذُكرت الآية في أمثلة الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام، قال الزركشي :«

قد يخرج الاستفهام عن حقيقته، بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام »(١١)، ثم ذكر الوجوه التي يخرج إليها الاستفهام، وذكر منها (الإيناس)، قال:« الإيناس، نحو: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ ١٧)»(١٢)، والاستفهام في الآية للإيناس عند السيوطي أيضاً(١٣)، قال السيد جعفر باقر الحسيني:« ومثّل السيوطي للإيناس بقوله تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ ١٧)، وهو تقرير بمعنى طلب الاعتراف ليسجل حقيقة العصا»(١٤)، وفي (معجم الأساليب البلاغية) أن الاستفهام في الآية للإيقاظ والتنبيه(١٥).

إنّ تعدد الأقوال في تحديد المعنى المستلزم الذي خرج إليه الاستفهام في الآية، إن كان على مستوى الاصطلاح مع اتحاد المعنى، فلا إشكال، وإن كان في الاصطلاح وحقيقة المعنى، فهو المشكل الذي طرحه الدكتور أحمد المتوكل في بحثه الذي يعد من أوائل البحوث إن لم يكن أولها ـ التي تناولت ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث العربي، إذ طرح في بحثه الموسوم (اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة ((الاستلزام التخاطبي)))(١٦). عام ١٩٨١، التساؤلات الآتية:« في حالة استعمال جملة ما، مخروجاً بمعناها الظاهر المدلول عليه بصيغتها، إلى معنى آخر، ما هو في نهاية الأمر التأويل الوارد إعطاؤه لهذه الجملة؟ هل يعتمد المعنى المستلزم وحده باعتباره السابق إلى الفهم أم هل يعتمد المعنى الصريح والمعنى المستلزم معا؟ ... كيف يمكن معرفة وضبط المعنى الذي تخرج إليه صيغة معينة من الصيغ الجملية كالاستفهام؟»(١٧).

وقبل محاولة البحث عن إجابات للأسئلة المطروحة في البحث، لا بُدَّ من معرفة كيفية الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المستلزم في صيغة الاستفهام الواردة في القرآن الكريم تحديداً، ولا سيما إن كان المستفهِم هو الله سبحانه، فقد ذكر الدكتور(المتوكل) بناءً على اقتراحات (السكاكي). أن معاني صيغ الطلب تخرج إلى معانٍ أخرى حين يمتنع مقامياً اجراؤها على الأصل، وأن شروط اجراء الاستفهام على أصله تكمن في: طلب حصول ((في الذهن)) لغير حاصل ((ممكن الحصول)) يهم المستفهِم ويعنيه شأنه(١٨). وعليه فيمكن القول: إنَّ الاستفهام الصادر عن الباري عزّ وجلّ في القرآن الكريم لا يراد به حقيقة الاستفهام على أصله، إنما يراد به معانٍ أخرى مستلزمة، تتولد من خرق شرط اجراء المعنى الأصلي، وهو طلب حصول لغير حاصلٍ في الذهن؛ ولهذا فإن أمكن اعتماد المعنيين: ـ الأصلي والمستلزَم ـ في استفهامات المخلوقين الواردة في القرآن الكريم وفي غيره، فلا يمكن تعميم ذلك على الاستفهام الصادر عن الله تبارك وتعالى، فإنه فيما يخصّ التساؤل المطروح وهو: هل يعتمد المعنى المستلزم وحده بوصفه السابق إلى الفهم أم هل يعتمد المعنى الصريح والمعنى المستلزم معا؟ قد يصح القول باعتماد المعنى المستلزم وحده في هذا النوع من الاستفهام القرآني، أما في غيره، فهناك من يرى إمكان التعدد المقصدي في مثل: هل بإمكانك أن تناولني الملح؟ إذ يرى الدكتور (محمد محمد يونس علي) أنها تدل على الاستفهام وعلى الطلب معاً، وأن كليهما مقصود(١٩).

أما فيما يخص جواب موسى(عليه السلام)، فإنّ الزيادة فيه ليست من التطويل بلا فائدة، وقد لاحظ العلماء من مفسرين وبلاغيين خرقه لقاعدة الكمية ـ حسب الاصطلاح الحديث ـ و تناول البلاغيون زيادته في باب الحذف والذكر(ذكر المسند إليه)، إذ كان يمكن أن يوجز فيقول: (عصا)، لكنه (عليه السلام). ذكر المسند إليه لسبب أطلقوا عليه (بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب)، قال القزويني:« وأما ذكره ـ أي المسند إليه ـ فلكونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، أو للاحتياط لضعف التعويل على القرينة، أو للتنبيه على غباوة السامع، أو زيادة الإيضاح والتقرير، أو إظهار تعظيمه، أو إهانته، أو التبرك بذكره، أو استلذاذه، أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب، نحو:«هِيَ عَصَايَ»(٢٠).

وفصّل الدكتور (فضل حسن عباس) القول في مقام البسط، قال: «وقد يذكر ـ المسند إليه ـ في مقام البسط، حيث تجمل إطالة القول، ألا ترى إلى موسى عليه الصلاة والسلام وقد قال الله له: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ)، فأدرك موسى عليه الصلاة والسلام أن هذا مقام يطيب فيه الحديث، ويحلو فيه التفصيل، ولا يجمل فيه الإجمال، فقال: (هِيَ عَصَايَ)، وكان يمكن أن يقول: عصا. ولكنه قال: (هِيَ عَصَايَ)، ولم يكتف بذلك، بل قال: (هِيَ عَصَايَ

أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ) ١٨(طه :)»(٢١).

وقد ذكرت الدكتورة (جنان البلداوي) في تناولها لنوعي الاستلزام في هذا النص الحواري القرآني المبارك، الحاجة إلى الإجابة عن سؤالين متعلقين بالنص لفك شفرته، يخص أحدهما الآية المتضمنة للسؤال، فقالت: « ما الغرض من سؤاله تعالى عمّا في يد موسى (عليه السلام)، مع علمه تماماً بذلك؟»(٢٢)، وفي جوابه قالت :« إنّ الله تعالى عالم بما في يد موسى (عليه السلام)، ولكن سأله ليثير ويلفت الأنظار إلى أهمية تلك العصا وإلى حقيقتها»(٢٣).

وهذا الرأي هو الذي يراه المفسرون، لذلك اقتبست الدكتورة البلداوي جواب ابن عاشور؛ لأنّه كافياً، إذ قال: «فلذلك ابتدأ بسؤاله عمّا بيده؛ ليوقن أنّه ممسك بعصاه، حتى إذا انقلبت حيّة لم يشك في أنّ الحية هي التي كانت عصاه، فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه ... لأنّ شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلّا والسائل يريد من سؤاله أمراً غير ظاهر»(٢٤)، وهذا الأمر غير الظاهر، هو المعنى المستلزم الضمني الذي خرج إليه الاستفهام.

أما السؤال الثاني الذي وضعته الدكتورة (جنان البلداوي) والذي يخص الآية المتضمنة لجواب موسى(عليه السلام)، وهو: لِمَ أطال موسى وأطنب في إعطاء المعلومات التي كان تبارك وتعالى على علم واسع بها؟

وفي جوابه أشارت إلى خرق قاعدة الكم من جهة موسى(عليه السلام). حيث أطال الجواب، ومع افتراض مبدأ التعاون وعلم موسى ـ عليه السلام ـ بأنّ الله تعالى عالم بما في يمينه، استلزم حمل المعنى على غير ظاهره، وبما أنّ الأمر لم يفت المفسرين، الذين ذكروا وجوهاً لهذه الإطالة، ومن بينها، استلطفت الدكتورة البلداوي رأي (الفخر الرازي)، وهو: « أنه أطال بجوابه رغبة منه في المكوث أكبر وقت ممكن مع الخالق تعالى، والتشرّف بهذا المقام»(٢٥).

إن توجيه الدكتورة نادية النجار والدكتورة جنان البلداوي للنص، ينصّ على وجود استلزام حواري في جواب موسى (عليه السلام). ناتج عن خرق مقولة الكم بالزيادة، إذ كان جوابه ـ عليه السلام ـ أكثر من المطلوب، لكن ما هو المعنى المستلزم الذي قصد موسى(عليه السلام)، إيصاله؟ هل تعدّ الرغبة في المكوث أكبر وقت ممكن مع الخالق تعالى، معنىً مستلزماً قصده موسى(عليه السلام)، ولوّح به من خلال المعنى الحرفي لجوابه؟ هناك من لا يرى في جواب موسى ـ عليه السلام ـ استلزاماً حوارياً، ويرى أن الإطناب في الجواب كان بسبب حاجة نفسية عند موسى (عليه السلام). لا لمعنى أراد موسى أن يوصله لربه عزّ وجلّ عن طريق (الاستلزام)، وهي أنه يحب المكالمة مع ربه، فجعل الإطناب كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض، أو أنه زاد في الجواب؛ لأنّ المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث(٢٦).

والملاحظ على هذا الرأي أنه يستبدل مصطلح الاستلزام الحواري بمصطلح الحاجة النفسية، ومع اختلاف تعبيرات الباحثين عن الغاية التي من أجلها طال جواب ـ موسى (عليه السلام) ـ فإنّها جميعاً مقتبسة من كلمات البلاغيين والمفسرين، وقد عدّت من الاستلزامات الحوارية، فما هي حجج (عبد المنعم السيوطي) فيما يراه؟ ذكر الباحث وجوهاً في الرد على من يقول بأن في جواب موسى (عليه السلام). استلزاما حوارياً، هي:

الأول: «إن قول موسى (عليه السلام) ليس فيه زيادة، إذ روي عن وهب بن منبّه أنه قال: ((لمّا قال موسى(هِيَ عَصَايَ)، قال الله تعالى: وما تصنع بها؟)).

الثاني: إن جوابه مطابق للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه، وكأن المراد من سؤاله تعالى إياه ـ عليه السلام ـ أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها، ويستعضمها، ثم يريه تعالى عقب ذلك الآية العظيمة، كأنه جلّ وعلا يقول: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة، كنت تعتد بها، وتحتفل بشأنها. ف (ما) طالبة للوصف.

الثالث: لو فرضنا أنّ قول موسى(عليه السلام). فيه إطناب، فهو إطناب لحاجة نفسية عند موسى(عليه السلام)، لا لمعنى أراد موسى أن يوصله لربه عز وجل بطريق غير مباشر (الاستلزام) »(٢٧).

ويمكن مناقشة الوجوه الثلاثة، بأن الوجه الأول منافٍ للواقع القرآني، فإنه لم يرد في القرآن الكريم السؤال المروي عن وهب بن منبه (وما تصنع بها؟)! ولا يمكن مزاحمة النّص القرآني برواية قد لا تصح ولا تثبت.

وفي الوجه الثاني، إنّ السؤال في الآية:(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧) سؤالٌ عن ماهية العصا فإن (ما) يسأل بها عن الماهية أي حقيقة الشيء الذي بيمين موسى عليه السلام؛ لذلك قالوا إنه كان يكفيه أن يقول في الجواب: عصا، وقوله إنَّ (ما) طالبة للوصف، لا يؤكده جواب موسى (عليه السلام). إذ لم يقم بوصفها في جوابه، ولم يصف لونها أو شكلها أو أي وصفٍ متعلق بها، بل عدد المآرب ففصّل وأجمل.

وفي الوجه الثالث، إن الإطناب في جواب موسى(عليه السلام)، واقعيٌ وليس افتراضياً، وإنّ تلك الحاجة النفسية التي ذكرها، يمكن أن تكون هي المعنى المستلزم، الذي يُعبّر عنه بـ (الاستلزام الحواري).

وإلى أبعد من ذلك ذهب الباحث (عبد المنعم السيوطي) إلى القول بعدم توافر استلزام حواري ناتج عن خرق مقولة الكم بالزيادة، لا في هذا النص حسب، بل في عموم القرآن الكريم، قال :« ويبدو أن تحقق انزياح الزيادة من الصعوبة بمكان؛ لأنّك إذا أطلت بما لا يلائم السياق فإنّ هذا من باب انزياح المناسبة، وإذا أطلت بما يلائم السياق دون أن تستلزم معنى آخر غير المعنى الحرفي للكلام فإنّ ذلك من باب الإطناب، أما إذا أطلت بما يلائم السياق واستلزمت معنى غير المعنى الحرفي فإن هذا هو انزياح الزيادة، ومن الصعب تحققه؛ فإنّ من يطيل الكلام ويسترسل غالباً ما يضع قصده في هذه الإطالة لا في الاستلزام، بل إنّه لو أطال بما يناسب السياق ليستلزم معنى غير الذي أطال بسببه فهذا من باب الهذر! ولذلك خلا القرآن العظيم ـ فيما يراه البحث ـ من انزياح الزيادة»(٢٨).

تدور وجهة نظر الباحث (عبد المنعم السيوطي) حول الإطالة في القرآن الكريم، فهي إما أن يطول الكلام بما لا يناسب المقام، وهذا يندرج ضمن انزياح المناسبة ـ خرق مقولة الملائمة ـ، أو يطول الكلام بما يلائم السياق وتكون معانيه معانٍ حرفية، وهذا هو الإطناب، وما بقي هو الإطالة بما يناسب المقام أو السياق لكن المعاني المقصودة ليست حرفية بل مستلزمة وهذا ـ عنده ـ من باب الهذر، وحاشى القرآن الكريم من أن يحتويه.

وفيما يخصّ مجمل الكلام عن مقولة الكم عموماً، ولا سيما المحور الأول من وجهة النظر هذه، الذي يشير إلى تداخل بين خرق مقولتين من مقولات مبدأ التعاون في النّص الواحد، فإنّ المتكلم لو أعطى كمية أكبر من المطلوب بما لا يناسب موضوع الحوار يخرق مبدأ المناسبة، فقد تكلم عن ذلك (غرايس) في أصل تأسيس نظرية الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون، قال :« وتقبل القاعدة الثانية النقاش ـ لا تجعل مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يفوق ما هو مطلوب ـ : إذ قد نظن أنّ توفير قدر كبير من المعلومات لا يمثل انتهاكاً لمبدأ التعاون وإنما هو مجرد إضاعة للوقت. ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع الرّد على هذا الاعتراض بملاحظة أن مثل هذا الإفراط في المعلومات قد يكون مضللاً؛ لأنه قد يشير إلى مسائل هامشية. وقد يؤثر هذا الإفراط تأثيراً غير مباشر؛ إذ قد يضلل المخاطبون لظنهم أنه يكمن غرض محدد وراء هذا الإفراط في المعلومات. ومع ذلك قد توجد أسباب أخرى للتردّد في قبول هذه القاعدة الثانية، لا سيّما أن قاعدة لاحقة ستُعنى بالمناسبة ستؤمن مفعول هذه القاعدة»(٢٩).

وبناءً على هذا الكلام يمكن قبول وجهة نظر الباحث (عبد المنعم السيوطي) فيما يخص تداخل اختراق مقولة الكم بالزيادة ومقولة المناسبة. لكنه جانب الصواب في قوله: «وإذا أطلت بما يلائم السياق دون أن تستلزم معنى آخر غير المعنى الحرفي للكلام فإنّ ذلك من باب الإطناب ...بل إنّه لو أطال بما يناسب السياق ليستلزم معنى غير الذي أطال بسببه فهذا من باب الهذر!»؛ لأنّ للإطناب معانيَ مقامية، أو قُلْ معانيَ مستلزمة مقامياً تصاحب المعنى الحرفي للكلام، وعلى سبيل التمثيل ما ذكره (جلال الدين السيوطي) حول الإطناب في قوله تعالى:(ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ)(غَافِر :)، قال:« فقوله: (وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ) إطناب، لأنّ إيمان حملة العرش معلوم وحسّنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه. وفي قوله تعالى: (وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)فُصِّلَت :)، قال: «وليس من المشركين مزكٍّ، والنكتة الحثُّ للمؤمنين على أدائها، والتحذير

من المنع منها حيث جعلها من أوصاف المشركين»(٣٠). فإنّ إظهار شرف الإيمان والترغيب فيه، وكذلك حثّ المؤمنين على أداء الزكاة، معانٍ مستلزمة، وليست حرفية، وعليه لا يصحّ ما ذهب إليه (عبد المنعم السيوطي) من أنّ الإطناب إطالة بما يناسب السياق دون استلزام لمعنى آخر غير المعنى الحرفي، وكذلك لا يصحّ إطلاق (الهذر) على الإطالة بغرض الاستلزام.

وقد بحث الدكتور(عبد الله صولة) موضوع الإطناب في القرآن الكريم، وعدّه من العدول الكمّي بالزيادة، وإنّ الإيجاز عدول كميّ بالنقصان أيضاً، والمقياس عنده ـ خلافاً للسكاكي الذي يعدّ (متعارف الأوساط) مقياساً للتمييز بين الإطناب والإيجاز(٣١) ـ أن يكون المقياس هو الجملة في مظهرها الخبري البسيط المجرد، قال :« ونحن نسلّم بقيام التركيب القرآني على العدول إطناباً وإيجازاً أن نصوغ مقياساً آخر أكثر دقة وأقرب إلى الضبط هو الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي البسيط المجرد»(٣٢)؛ لذلك فإنّ التوكيد يمثّل ـ في رأي الدكتور (عبد الله صولة) ـ عدولاً كميّاً بالزيادة، قال: « إنّ مظاهر التوكيد في القرآن، تمثّل في رأينا عدولاً كمياً بالزيادة، لأكثر من أن تحصى فيه» (٣٣)، ولا يخلو اسلوب التوكيد من الدلالة على معانٍ ضمنيةٍ يستدعيها المقام، قال:« إنّ عناصر التوكيد ... تجعل الكلام بدخولها عليه ذا بعد حواري تفاعلي، فهي دليل على وجود خصومة وتناحر وصراع. على أن هذه العناصر تمثّل في الجملة شارات حجاجية تستدعي الضمني وتفتح عليه وتومئ إلى نتيجة وتدفع إلى استنتاجها. وآية ذلك أن يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تستدعي الضمني في السياق موحية بنتيجة ما»(٣٤)، وذكر الدكتور (عبد الله صولة) أنّ في مثل قوله تعالى:(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ)(طه :)، مفهومٌ دلالي، هو: (ليس البعث كذبة تقال)، ومفهوم لا قولي هو: (آمنو بالبعث) ، وفي قوله تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ)(٤٣ الحِجْر)، وقوله تعالى : (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ) (٣٨الصَّافَّات)، مفهوم دلالي هو :(ليس الكافرون بناجين من النار)، ومفهوم لا قولي هو:(آمنوا بالله وبرسالة محمد)(٣٥)(صلى الله عليه وآله وسلم). وهذا ما نحن بصدد إثباته، وعليه فلا يمكن إنكار ما في الإطناب ـ الذي يمثله التوكيد في الأمثلة ـ من معانٍ ضمنيةٍ ليست حرفية، هي الافتراض المسبق الذي سماه الدكتور (عبد الله صولة) (مفهوم دلالي)، واستلزام حواري أطلق عليه (المفهوم اللاقولي).

ثانياً: خرق مقولة الكيف:

لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب.

لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه.

أولى (غرايس) القاعدة الأولى من هذه المقولة اهتماماً خاصاً، بقوله: «ومن البديهي أنّ احترام بعض هذه القواعد يكون أقلّ إلحاحاً من احترام غيرها. فنحن ننتقد شخصاً مّا يعرب عمّا في نفسه بإطناب مبالغ فيه انتقادا عادة ما يكون ألطف من انتقادنا شخصاً آخر قال شيئاً وهو واثق من عدم صحّته. وأنا أعتبر فعلاً أن هذه القاعدة الأولى للكيف تكتسي، على أقل تقدير، أهمية بالغة»(٣٦). والسؤال المهم الذي يواجه الباحث عن الاستلزامات الحوارية المتولدة عن خرق القاعدة الأولى لمقولة الكيف في النّص القرآني، هو: كيف يتصوّر وجود هكذا خرق في النّص القرآني المنزّه المبارك؟ مادام اختراق هذه القاعدة يعني قول غير الحقيقة، فهل يمكن أن نجده في القرآن الكريم؟ والجواب: نعم؛ لأنّ في القرآن الكريم كلاماً محكيّاً، نقله الله تعالى على لسان أصحابه، ومن هذا النوع ناقشت الدكتورة (جنان البلداوي) مجموعة من الأمثلة القرآنية، جاءت على ألسنة قائليها الذين خرقوا ـ حسب رؤية الدكتورة (جنان البلداوي) ـ القاعدة الأولى لمقولة الكيف، تحت عنوان (لا تقل ما تعتقد أنّه خطأ). مثل ما جاء في قوله تعالى على لسان أهل يعقوب ـ عليه السّلام ـ بعد أن قال لهم : (إِنِّيَ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ)(٩٤يُوسُف :)، (قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ) (٩٥ يُوسُف)، إذ ترى الدكتورة (جنان البلداوي) أنّ «ردة فعل أهل يعقوب(عليه السلام). خرق لقاعدة الكيف؛

لأنّه مخالف للواقع؛ إذ لم يكن (عليه السّلام) في توهم مما هو فيه كما ادّعوا، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وافتراض أن يعقوب ـ عليه السلام ـ يدرك أن سبب ردة فعلهم هذه هو اعتقادهم إنه إنما قال هذا بسبب طمعه (عليه السلام) بلقاء يوسف، والإكثار من ذكره، والتوقع للقائه، وجعله فيه، لتمكنه ودوامه عليه، استلزم منه (عليه السلام). أن يفهم أن قولهم هذا إنما هو لعدم وصولهم لمرحلة التوفيق الإلهي»(٣٧).

وليس الأمر كذلك، فالمدار ليس في مطابقة الواقع أو مخالفته، بل في مطابقة اعتقاد المتكلم، وهذا جلي في نص القاعدة (لا تقل ما تعتقد أنه خطأ _أو لا تقل ما تعتقد أنه كاذب)، ومثله ما ذهبت إليه الدكتورة، في قوله تعالى على لسان أصحاب الأيكة وهم يخاطبون شعيباً(عليه السّلام)(قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَر مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)١٨٧:الشُّعَرَاء)، قالت: «إنّ الدينامية الحوارية التي بني عليها جواب أصحاب الأيكة ـ هم أهل مدين غالبا ـ لشعيب (عليه السلام) حين وصفوه بأنّه مسحور فيها خرق لقاعدة الكيف؛ لأنّها خلاف الواقع. ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وافتراض المعرفة المشتركة بين المخاطبين، وهي علم الناس أو المخاطبين بنوايا أصحاب الأيكة آنذاك استلزم من السامع أن يفهم أن أصحاب الأيكة إنما قالوا هذا في حقه (عليه السلام)؛ لأنهم إنما أرادوا من ذلك نفي الرسالة كناية وتصريحا، فزعموه مسحوراً »(٣٨).

لعلّ من التمعن في مبدأ التعاون وقواعده، يتّضح أن الاستلزام المتولد عن خرق القاعدة الأولى من مقولة الكيف ينبني على وجه الدّقة على أمرين، أولهما: أن يكون قول القائل مخالفاً لاعتقاده، وثانيهما: أن القائل يقول غير الحقيقة قاصداً التلميح بالمعنى المستلزم، ثم بافتراض مبدأ التعاون يدرك المتلقي المعنى المستلزم المقصود من قول القائل، وهذا ما لم يتوفر في المثالين المذكورين، فإنّهم _ على الأقل _ قالوا ما يعتقدون صحّته، وإن كان خاطئاً أو مخالفاً للواقع، فلا يصحّ القول بأنّهم خرقوا القاعدة الأولى لمقولة الكيف، ربما يصحّ الكلام في المثالين عن خرقهم للقاعدة الثانية، فلا أهل يعقوب ـ عليه السلام ـ يملكون برهاناً على أنّ أباهم في ضلال ـ حاشاه ـ ، ولا أصحاب الأيكة لديهم برهانٌ على أن شعيباً ـ عليه السّلام ـ من المسحّرين، هذا إن كانوا قاصدين خرق القاعدة من أجل التلميح بمعنى مستلزم، وإلّا فإنّ ما يُفهم من قول أهل يعقوب، وقول أصحاب الأيكة يكون من الاستلزامات العرفية (الوضعية)، فقد أشار (غرايس) إلى ضرورة اعتبار القصد في توليد الاستلزام الحواري، قال: «إلّا أن قواعد المحادثة والاستلزامات المحادثية المتّصلة بها (وأرجو ذلك) ترتبط أساساً بالأهداف المحدّدة التي وقع صرف الكلام (وكذلك المحاورة) إلى تحقيقها والتي من أجلها وقع بالأساس استخدامها»(٣٩). وأشار أيضاً إلى أنّ من هذه الأهداف هو: «التأثير في أفعال الآخرين أو توجيهها»(٤٠). وعليه فلعلّ خير مثال على تولّد معنى مستلزم عن خرق قاعدة الكيف الأولى، هو ما جاء على لسان شيخ الموحدين إبراهيم (عليه السلام). في قوله تعالى:(قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ)(٦٣الأَنبِيَاء :)، فإنّه(عليه السلام). كان قاصداً المعنى المستلزم دون المعنى الحرفي، متهكماً بالمشركين وآلهتهم المزعومة، فقد «يستعمل المرسل آلية التهكم، بوصفها إحدى آليات الاستراتيجية التلميحية، وهذا يستلزم قصداً غير ما يدل عليه الخطاب بمعناه الحرفي»(٤١). فكأنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال نعم أنا فعلت هذا؛ لأنه يلمّح بقوله:(قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا) إلى عدم قدرة الأصنام على فعل شيء، واستعمل (إن الشرطية) في قوله:(فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣)؛ ليلمّح إلى امتناع الجواب امتناعاً حتمياً، والذي يؤيد هذا الرأي، وهو إنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان قاصداً المعنى المستلزم المضاد للمعنى الحرفي في جوابه، ما ذكره الدكتور (عبد الهادي الشهري) حول محاولة (سبيربر و ولسون) معالجة ظاهرة التهكم بالإجابة عن أسئلة من قبيل: لماذا يترجّح ـ في الغالب ـ المعنى المضاد تماماً؟ إذ لا يدخل التهكم عندهما ضمن المعاني المجازية؛ لأن المعاني المجازية للملفوظ الواحد يمكن أن تتعدد، في حين يتولّد من التهكم معنى

مضاد واحد، ولذلك فإنهما يريان أن المعنى المضاد هو معنى بديل، وليس معنىً زائداً، وهما بذلك يخالفان (غرايس) الذي ينتج عنده عن خرق قاعدة الصدق معنى مستلزم مضاد بالإضافة إلى المعنى الحرفي، إنهما يخالفانه؛ لأنّ في اجتماع المعنيين شيئاً من التناقض، وعليه فإنّ خرق القاعدة ليس ضرورياً، كما أنه ليس كافياً لتأويل التهكم، ويريان أنّ ارتباط قصد المرسِل بالملفوظ هي وظيفة سياقية(٤٢). فإنّ من يتصوّر السياق لا يشك في أن المتلقين لكلام إبراهيم ـ عليه السلام ـ يدركون أنّه لم ينسب فعل التحطيم إلى الصنم على وجه الحقيقة، إنّما ليلفت انتباههم إلى انعدام قدرته على فعل التحطيم، وعلى النطق بالدفاع عن نفسه، ومن ثمّ فهو غير مؤهل لجعلهم إياه إلهاً، «إن المستمع يستعمل نوايا المتكلم لفهم القول أكثر منه لفهم مدلول المتكلم»(٤٣)، إنّ قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ بقيام كبير الأصنام بفعل التحطيم يستدرج الخصوم إلى الاعتراف بعجز الأصنام وكبيرها عن أيّ فعل؛ ليثبت لهم خطأهم في عبادة الأصنام، لذلك جاء في الآيات عقيب قول إبراهيم عليه السلام ـ، قال تعالى(فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)(٦٧الأَنبِيَاء :)، لقد استعمل إبراهيم عليه السّلام كفاءته التداولية في غير مرّة؛ لإثبات وحدانية الله تبارك وتعالى، ومحاربة الشرك بالله، وقد اتفق ما ذكر في علم اللغة الحديث، مع التوجيه التفسيري، على تنزيه ساحة إبراهيم(عليه السلام). من الكذب، قال الزمخشري: «إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم»(٤٤). ووجه الإلزام كما ذكر (الطبرسي) «أن هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون، فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم؛ لأنّ غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهة»(٤٥). ولم يستغنِ ما وجدتُ من توجيه تداولي للآية عن توجيه المفسرين لها وأقوالهم فيها(٤٦).

وتناولت الدكتورة (جنان البلداوي) الآية في مبحث الاستلزام الحواري المخصص الخفي المتولد من خرق قاعدة الكيف، وقالت: «إن في هذه الخطاطة الحوارية دينامية استدلالية رائعة انطوت في جواب إبراهيم (عليه السلام) لقومه، بعدما سألوه عمن حطّم أصنامهم وأبقى كبيرهم، وكان سبق أن توعد بهذا؛ إذ جاء الجواب بإسناد ما قام به النبي إبراهيم (عليه السلام) إلى كبير أصنامهم، وهذا لا يطابق الواقع، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وافتراض إبراهيم (عليه السلام) أن قومه يدركون الواقع، وهو أن أصنامهم عاجزة، لا تستطيع فعل شيء، استلزم منهم أن يفهموا أنّ قوله هذا لم يكن كذباً، وإنما كان تمهيدياً؛ للتهكم بهم وتبكيتهم»(٤٧). وعلى هذا الرأي يتفق التوجيه التداولي مع التوجيه التفسيري لقول إبراهيم(عليه السلام). لكن ينبغي التنبيه إلى أن الدكتورة (جنان البلداوي) ذكرت توجيه (ابن عاشور)؛ لأنّه ـ حسب تعبيرها ـ (أروع ما وجدتْ) في توجيه جواب إبراهيم ـ عليه السلام ـ. وبالرجوع إلى كلام ابن عاشور المذكور، تبيّن أنه لم يكن في توجيه جواب إبراهيم ـ عليه السلام ـ إنما كان في كيفية التوفيق بين ما انتهى إليه من تنزيه إبراهيم (عليه السلام). من الكذب، وبين ما صحّ عنده من حديث مروي عن أبي هريرة مفاده أنّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ كذب (حاشاه) ثلاث كذبات!، قالت الدكتورة البلداوي: «ولأجل توجيه جواب إبراهيم (عليه السلام) اختلف المفسرون كثيراً في تفسير هذه الآية، ولا شأن لنا بإيراده، نكتفي فقط بما قدمناه، وهو ما اتفق عليه المحققون، كما ذكر الزمخشري، ولكن لا بدّ من ذكر توجيه ابن عاشور؛ إذ كان أروع ما وجدته في هذا، قال: وجوابه عندي: إنه لم يكن في لغة قوم إبراهيم التشبيه البليغ، ولا المجاز، ولا التهكّم، فكان ذلك عند قومه كذباً، وإنّ الله أذن له فعل ذلك، وأعلمه تأويله، كما أذن لأيوب أن يأخذ ضغثاً من عصيّ، فيضرب به ضربةً واحدة؛ ليبرّ قسمه؛ إذ لم تكن الكفارة مشروعة في دين أيوب (عليه السلام)»(٤٨).

إنّ كلام ابن عاشور كان في توجيه قوله تعالى على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ (فَقَالَ إِنِّي سَقِيم)(٨٩الصَّافَّات). ،

سورة الصّافّات التي ذكرت قصة التحطيم، ولم تذكر نص سؤال المشركين، ولا جواب إبراهيم(عليه السلام).
، في سورة الأنبياء(٤٩)، وليتّضح المطلب، هذا نص كلام ابن عاشور، قال :« وقد ظهر من نظم الآية أن سَقِيم) لم يكن مرضا ولذلك جاء الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي(صلى الله عليه وآله) (لم يكذب لا ثلاثَ كذبات اثنين منهن في ذات الله عزّ وجلّ قوله (إني سقيم)، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا)، وبينا هو وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال: هي أختي) الحديث ، فورد عليه إشكال من نسبة إلى نبي.

شكال: أن تسمية هذا الكلام كذباً منظور فيه إلى ما يُفهمه أو يعطيه ظاهر الكلام، وما هو بالكذب بل هو من المعاريض، أي إني مثل السقيم في التخلف عن الخروج، أو في التألم من كفرهم، وأن قوله (هي إد أخوة الإيمان، وأنه أراد التهكم في قوله (بل فعله كبيرهم هذا) لظهور قرينة أن مراده التغليط.

أجوبة لا تدفع إشكالاً يتوجّه على تسمية النبي (صلى الله عليه وآله). هذا الكلام بأنه كذبات. وجوابه أنه لم يكن في لغة قوم إبراهيم التشبيه البليغ، ولا المجاز، ولا التهكم، فكان ذلك عند قومه كذباً وأن الله عل ذلك وأعلمه بتأويله كما أذن لأيوب أن يأخذ ضغثاً من عصيّ فيضرب به ضربةً واحدة ليبرّ قسمه إذ لكفارة مشروعة في دين أيوب(عليه السلام)»(٥٠).

ابن عاشور الجمع بين تنزيه إبراهيم عليه السّلام وبين ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي سلى الله عليه وآله).. من تسمية أقوال الخليل ـ عليه السّلام ـ المذكورة، بالكذبات، وفي موقف مغاير، يختار فسرين عدم التعويل على الرواية، فقد ذكر الطبرسيّ الرواية وقال: «وما روي في ذلك من أن إبراهيم ـ عليه كذب ثلاث كذبات ... فممّا لا يعوّل عليه. فقد دلّت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على أنّ الأنبياء عليهم الكذب»(٥١). وكأنّ الأمر يدور بين تصديق راوي الرواية، أو القول بصدق إبراهيم (عليه السلام)، واز الكذب عليه، وعدم صدوره منه، وإن كان ذلك كذلك، فمن اتخذه الله خليلاً أولى بالتصديق، ولاسيما بم ـ صلوات الله عليه ـ بطل التوحيد، والحائز على المقامات الرفيعة: النبوة، والرسالة، والإمامة، وقد أثنى عليه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، يكفي منها قوله تعالى:(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا مَّرۡيَمَ)، فإنّ الله تعالى وصفه بالصدق على وجه المبالغة، وفي كلمات المفسرين في تفسير هذه الآية ما تندفع لشبهة، قال (أبو الفضل الآلوسي ١٢٧٠هـ):« (إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا ٤١) ،أي: ملازم الصدق لم يكذب وقيل : الصدّيق من صدق بقوله واعتقاده، وحقّق صدقه بفعله، وفي الكشّاف الصدّيق من أبنية المبالغة رط صدقه»(٥٢).

عض الباحثين في أمثلة خرق قاعدة الصدق لتشمل التعابير المجازية في القرآن الكريم، حتى في أقوال الله المباشرة! كما نجد عند الدكتورة (جنان البلداوي)، والدكتور (عبد المنعم السيوطي) في أمثلة الانزياح عن كيف، إذ تُعنى بصدق المعلومات ـ حسب تعبير(عبد المنعم السيوطي) ـ في القرآن الكريم، وعرّف الانزياح بقوله :«هو عدول المتكلم عن قول الصدق (الحقيقة)، مستلزماً لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ن السياق»(٥٣). يبدو من تعريف الدكتور للانزياح الكيفي، ووضعه لفظ (الحقيقة) بين معقوفين في إلى جانب الصدق، أنه يجعل من الاستعمال الحقيقي ـ الذي يقابل الاستعمال المجازي ـ ، مرادفاً للصدق، ستعمال المجازي مرادفاً للكذب؛ لذا إنّ الاستعمالات المجازية ـ عنده ـ تعدّ خروقات لمبدأ الكيف، ثمّ صرّح ئلاً: «استخدمت البلاغة العربية مصطلحي الحقيقة والمجاز مقابلاً لمصطلح الصدق والانزياح عن الصدق الاستلزام الحواري، ... وإن كان الخلاف قائماً في التشبيه البليغ والمشاكلة بين البلاغيين في كونهما من

المجاز أو الحقيقة، فهو منتف في نظرية الاستلزام الحواري، فالتشبيه البليغ والمشاكلة من الانزياح الكيفي، حيث عُدل فيهما عن قاعدة الكيفية (الصدق)، فقولنا في التشبيه البليغ (زيد أسد)، يخالف الصدق؛ إذ ليس زيد بأسد حقيقي، وكذلك الأمر في المشاكلة»(٥٤). وعلى هذا فإن جميع الاستعمالات المجازية في القرآن الكريم هي أمثلة لخرق مقولة الكيف حسب توجيه الدكتور (عبد المنعم)، ومن أمثلته، قال تعالى:(يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضا)(البَقَرَة :)، قال:« محل الانزياح: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَض).

المعنى الحرفي: في قلوبهم علة مرضية.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن الاستعارة، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: في قلوبهم عوارض نفسانية ذميمة.

المعنى المستلزم وجماليته: عدل عن ذكر حقيقة ما في قلوبهم بصريح لفظه، إلى التعبير عنه بلفظ (المرض)؛ بغيةَ إيضاح حقيقته وتقريبه إلى الأذهان، واستلزم المقصود من السياق»(٥٥). في هذا المثال عدّ الاستعارة في قوله تعالى: فِي قُلُوبِهِم مَّرَض خرقاً لقاعدة الكيف، إذ كان استعمال لفظ (مرض) في الآية استعمالاً مجازياً وليس حقيقياً! وفي قوله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَة مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ) ٩٥البَقَرَة :)، مجاز مرسل في قوله تعالى: (بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ) ، ومن ثمّ فهو انزياح كيفي وعدول عن: لن يتمنوا الموت بسبب ما اكتسبته أنفسهم(٥٦). وهكذا فإنّ الاستعمالات المجازية في الاستعارة المفردة والمركبة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والتشبيه البليغ، والمشاكلة، والتجريد، كلها أمثلة على خرق قاعدة الكيف حسب توجيه الدكتور عبد المنعم السيوطي(٥٧).

لا حجّة له على أن البلاغة العربية استخدمت مصطلحي الحقيقة والمجاز مقابلاً لمصطلحي الصدق والانزياح عن الصدق في نظرية الاستلزام الحواري. فالحقيقة عند البلاغيين مصطلح يطلق مجازاً على اللفظ المستعمل فيما وضع له بالأصل، والاصطلاح على هذا النوع من الاستعمال بـ (الحقيقة) مأخوذ باعتبار ثبوت اللفظ على أصله في الاستعمال، ولا علاقة له بالصدق أو الكذب، قال (يحيى العلوي ٧٤٩هـ): «اعلم أن الحقيقة فعيلة واشتقاقها من الحق في اللغة، وهو الثابت. وهو يذكر في مقابلة الباطل، فإذا كان الباطل هو المعدوم الذي لا ثبوت له، فالحق هو المستقر الثابت الذي لا زوال له، فلما كانت موضوعة على استعمالها في الأصل قيل لها حقيقة، أي ثابتة على أصلها لا تزايله ولا تفارقه (ووزنها فعيلة) كعفيفة وشريفة، وقد تكون بمعنى الفاعل، أي حاقّة. ثابتة، وقد تكون بمعنى المفعول، أي محقوقة مثبتة. وهل يكون لفظ الحقيقة على ما يطلق عليه من باب الحقيقة، أو من باب المجاز، والحق أنه من باب المجاز؛ لأنّا قد قررنا أنها مقولة في الأصل على الشيء الثابت غير المنفي المعدوم، ثم أنّها نُقلت إلى استعمال اللفظ في موضوعه الأصلي، فقد أفادت معنى غير ما وضعت له في الأصل، فلهذا كان إفادتها له على وجه المجاز»(٥٨). فلا صحة لما ادّعاه الدكتور السيوطي من استعمال مصطلح (الحقيقة) للصدق، والمجاز للعدول عنه في البلاغة العربية، ولو كان كذلك لما «أجمع أهل التحقيق من علماء الدين، والنّظار من الأصوليين، وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله تعالى وكلام رسوله»(٥٩)(صلى الله عليه وآله)، والحق أنّ البلاغة العربية تصدّت لهذا الادعاء المطروح منذ القدم، وشكّلت مباحث تسويغ المجاز في القرآن الكريم جزءاً مهماً من موضوعها، إذ كتب (أبو عبيدة ٢١٠هـ) كتاباً بعنوان (المجاز في القرآن)،وكان تأويل المجاز في مسألةٍ بلاغية سبباً مباشراً في تأليفه(٦٠)، ثم تلاه (ابن قتيبة ٢٧٦هـ) إذ قال نافياً كون المجاز من الكذب: «وأما الطاعنون على القرآن ((بالمجاز)) فإنّهم زعموا أنه كذبٌ، لأنّ الجدار لا يريد، والقرية لا تُسأل . وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلها على سوء

نظرهم، وقلة أفهامهم. ولو كان المجاز كذباً، وكلّ فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً، كان أكثر كلامنا فاسداً؛ لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السّعر»(٦١). فإن المتكلّم بهذه العبارات المجازية وأمثالها لا يعدّ كاذباً؛ لأنّها تقوم على التأوّل المعلوم في قصد المتكلّم وفهم المتلقي وسياق الخطاب، الذي تكلّم عليه (عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ) بقوله، فإنّ: « كل جملة أخرجت الحكم المُفاد بها عن موضعه من العقل لضربٍ من التأوّل، فهي مجاز»(٦٢)، وإنّ المجاز لم يكن مجازاً لأنّه إثبات الحكم لغير مستحقه، أو الفعل إلى غير فاعله ، بل لأنّه أثبت لما لا يستحق تشبيهاً وردّاً له إلى ما يستحق، إذ يبدأ المتجوّز في إثبات الوصف والحكم للأصل، فإنّ تشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة لا يكون ما لم يثبت للأسد وصف الشجاعة؛ لذلك فإن ما جرت عليه العادة في إثبات الأفعال للأشياء مجازات؛ لأنّ الراسخ في العقل هو أن لا فعل على الحقيقة إلّا للقادر(٦٣)، ومن أمثلة (الجرجاني) على أهمية معرفة قصد المتكلّم، وفهم المتلقي، والسيّاق العام في تعيين المجاز، وتمييزه من الكذب، إشارته إلى أن قول الكافرين الذي حكاه الله تعالى عنهم،:(وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ (الجَاثِيَة :)، لا يمكن عدّه من المجاز؛ لأنّ الله تعالى قال يعقّب الحكاية عنهم:(وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤)(الجَاثِيَة :)؛لأنّ المتجوّز والمخطئ في العبارة لا يوصف بالظن، إنّما الظان من يعتقد أن الأمر كما قاله، فإنّهم لا ينسبون الإهلاك إلى الدهر تجوّزاً بل اعتقاداً منهم بأنّ المهلك لهم على وجه الحقيقة هو الدّهر. في حين يعدّ قول (أبي الإصبع): (من المنسرح)

أهلكنا الليلُ والنّهارُ معاً والدّهرُ يعدو مُصمِّماً جَذَعا

مجازاً، وطريق الحكم عليه بالمجاز، هو العلم بأن عقيدته التوحيد بمعرفة أحواله السابقة، أو أن يردف المتكلم هذا النوع من قوله بما يكشف قصد المجاز فيه، كما فعل (أبو النجم)، بقوله: (من الرجز)

قد أصبحت أمُّ الخيارِ تدّعي

من أن رأت رأسي كرأس الأصلعِ عليَّ ذنبا كلُّه لم أصنعِ

ميّز عنه قنزعاً عن قنزعِ جذبُ الليالي : أبطئي أو أسرعي

وهذا من المجاز على الرغم من أنّه جعل الفعل لليالي ومرورها؛ لأنه يعود ويكشف عن قصده وتأوله، بقوله: أفناه قولُ الله للشمسِ اطلعي حتى إذا واراكِ أُفقٌ فارجعي(٦٤).

فعدُّ القصد الذي عُرف من السياق هو ما جعل من قول الكافرين كاذباً، وهو أيضا ما جعل قول الشاعر مجازاً غير كاذب؛ لذلك قال الجرجاني:« ومَن قدح في المجاز، وهمّ أن يصفه بغير الصّدق، فقد خَبَط خبطاً عظيماً، ويهرف بما لا يخفى»(٦٥)، وفي الإتقان، قال (جلال الدين السيوطي٩١١هـ):« وأمّا المجاز، فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه . أي : في القرآن . ، وأنكره جماعة ... ، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزّهٌ عنه، وأنّ المتكلّم لا يعدل إليه إلّا إذا ضاقت به الحقيقة، فيستعير، وذلك محالٌ على الله تعالى، وهذه شبهةٌ باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحُسن، فقد اتفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة»(٦٦)، وإذا كانت الفنون المجازية .كالاستعارة مثلاً . من الكذب في أدبيات نظرية الاستلزام الحواري . وهذا ما كان على عبد المنعم السيوطي قوله، وليس الخلاف الذي قاله . فإننا غير ملزمين بتطبيق ذلك على نصوص قرآنية من أقوال الله . تبارك وتعالى . المباشرة، وما فائدة هذا التطبيق؟ أليس فخّاً أن يُعدّ المجاز من الكذب، ثمّ يعدّ خرقاً لمقولة الكيف التي تنصّ على أن لا تقل ما هو كاذب، ولا تقل ما لا تملك برهاناً على صحته؟ وهل الإتيان بأمثلة من أقوال الله عزّ وجلّ في النّص القرآني على أنها خرق لمقولة الكيف، إلّا وقوعاً في ذلك الفخ؟.

جاء في أمثلة الدكتورة (جنان البلداوي) على خرق قاعدة الكيف، قوله تعالى: (لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا

عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيد)(٢٢:ق)، قالت:«...وهذا خرق لقاعدة الكيف؛ إذ لم يكن بصرُه حديداً حقيقةً، أو بصفات الحديد، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وافتراض معرفة المخاطب بعدم مطابقة ذلك للواقع استلزم منه أن يفهم أن الله لا يريد بقوله هذا على ما هو ظاهره، وإنما أراد التهكم به، موبخاً إياه، بعد لمسه حقيقة الواقع المرئي، والتمكن منه، بوساطة الإدراك الحسي (حدة البصر)، المستلزم تحقق اليقين به، بعد نكرانه، فالمعنى الحرفي: تشبيه بصره في نفوذ رؤيته لوقوع يوم الحساب والجزاء الموعود بالحديد...»(٦٧).

لم أجد من قال بتشبيه البصر بالحديد ويريد المعدن المعروف، وفي المفردات: « يُقال لكل ما دقّ في نفسه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد، فيقال هو حديد النظر وحديد الفهم»(٦٨). وفي غريب القرآن لابن قتيبة، (فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيد)«أي حادٌّ؛ كما يقال: حافظٌ وحفيظٌ»(٦٩).

وفي قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ) (٩ :يس)، قالت الدكتورة جنان البلداوي: «... وفي هذا خرق لقاعدة الكيف؛ إذ لم يُجعل في أعناقهم أغلالاً حقيقة، ولم يُجعل من بين أيديهم ومن خلفهم سدّاً حقيقة، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وعلم الله تعالى بأنّ الرسول على دراية تامة بحالهم، وأنّهم أغفلوا قلوبهم وعقولهم عن الإدراك والبصيرة استلزم من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفهم أن هذا تشبيه فحسب ...»(٧٠).

هذا الادّعاء بأن الآية تخرق مقولة الصدق لا يصحّ أبداً؛ إذ لا يتوقف التحليل التداولي عند المعنى الحرفي للكلمات. في البلاغة القرآنية، الألفاظ تُستخدم بطرق متعدّدة لتوصيل معانٍ أعمق. وإن كان السدّ هنا ليس مادياً ملموساً، وكان معنوياً، فهذا لا يعني أنه غير موجود أو غير (مجعول)، إن كان يعني ما يحجب البصيرة عن رؤية دلائل النبوة، وآيات الله الواضحة،

فلماذا الادّعاء بأنّ الله سبحانه لم يجعل في أعناقهم أغلالاً حقيقة؟ ولم يجعل من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً حقيقة؟ ومن قال بذلك؟ وما الجعل الإلهي؟ إن كانت الأغلال والسدود موانع وحواجز تحول بين الكافرين والإيمان، فهي مجعولة حقّاً، موجودة بالفعل، ويجب أن لا يُعامل النّص القرآني بهذه السّطحية جرياً خلف مبادئ غرايس، فما هي الّا نظرية قابلة للنقد، والنقض. إن كان التعبير المجازي ـ حسب أصحاب هذا التوجّه الفلسفي اللساني ـ تعبيراً كاذبا على المستوى الحرفي، وهو كذلك عندهم، فقد ذكر (ستيفن ليفنسون) في أمثلته على خرق مبدأ الكيف أنّ هذا الخرق يسري على بعض نماذج للاستعارة، قال: «فحين أقول مثلا: «الملكة فيكتوريا كانت حديدية» فإنّي أعبّر عن شيء كاذب مقولياً. وبذلك أكون إما غير متعاون أو أريد أن أعبر عن شيء آخر تماماً»(٧١). فإنّ هناك من يعارض هذا التوجّه، كما نجد عند (جورج لايكوف ومارك جونسون) مثلاً، من مناقشات حول قضية الصدق المطلق الذي يتبناه الموضوعيون، والذي يفضي إلى القول بعدم صدق المجازات، في حين لا يؤمن (جورج ومارك) بوجود صدق موضوعي مطلق وغير مشروط، إنّما هناك صدق نسبي يرتكز على الفهم، ويعدّان الاستعارة أداة رئيسة في الفهم؛ لذلك فإنهما يقدمان تفسيراً للكيفية التي يمكن أن تكون بها الاستعارة صادقة(٧٢).

وتحدّث الدكتور (حسان الباهي) عن قصور النموذج الموضوعي للصدق، ذلك الذي يتبنى مطابقة القضية للواقع الموضوعي، إذ يصعب توسيعه ليشمل تعابير الخطاب الطبيعي، ولا يسري على المواقع اللسانية التي ترتكز على سياق التلفظ، «فتقويم تعابير الخطاب الطبيعي يستدعي إجراءات لا تأخذ بعين الاعتبار القضايا الخبرية فقط، (التي تحتمل الصدق والكذب) بل أنماط الجمل الأخرى التي تستند إلى مقومات تداولية معرفية، ... وبموجب ذلك دعت العديد من الدراسات على ضرورة تعويض الصدق والكذب بالنجاح والإخفاق، أو بالقبول وعدم القبول. إن الشروط التي تستوجبها اللغة الطبيعية وكذا خصوصياتها، تشكلان في نظرنا دليلاً على امتناع رد اللغة الطبيعية

على اللغة الصورية، أو على الأقل تتبعها باعتماد نفس الوسائل والإجراءات. وهو ما نفسره على مستوى الصدق، باستحالة إعطائه تعريفاً كليّاً ومطلقاً. فنحن نلاحظ أن ما يعتبر صادقاً عند طائفة ما يمكن أن تكذبه طائفةٌ أخرى، أو تقول بعدم قابلية البت فيه. الأمر الذي يستلزم توسيع مجال المعايير التي يخضع لها الصدق حتى تأخذ بعين الاعتبار عوامل من قِبل المحيط الاجتماعي والثقافي ومقاصد المتكلمين ومعتقداتهم»(٧٣).

فما بالنا نفرع إلى أقوال الله سبحانه ونأتي بها شواهدَ على الانزياح عن الصّدق! بحجة أنّ المجاز مقابلاً للانزياح عن الصدق، هذا التطبيق للمنهج فيه مغالطة كبيرة، ويجب أن يتوقف. دعوى أن المجاز في القرآن الكريم يخرق قاعدة الصدق تتجاهل تماماً المقصد التواصلي، والاستخدام الفعلي للغة، وفيها ـ على الأقل ـ إساءة ظن بكلام الله تعالى. يجب أن ننطلق من اليقين بأنّ كلام الله حقٌّ وصدقٌ، ولا يمكن أن يحتوي على ما يناقض ذلك. وعلى الباحثين، بدلاً من إتّهام كلام الله سبحانه بخرق قاعدة الصدق، بحجة المجاز، أن يتعمقوا في فهم أساليب اللغة العربية وبلاغة القرآن الكريم؛ ليدركوا أنّ المجاز دليلٌ على عظمة هذا الكتاب، وليس ثغرة فيه. وكلّ ما في القرآن حق وصدق، وما يبدو لبعضهم خروجاً عن ذلك، إنما هو قصور في فهمهم للّغة، وسياق النص القرآني.

ثالثاً: خرق مقولة المناسبة: وضع (غرايس) تحت هذه المقولة قاعدةً وحيدةً، هي:(قل ما له صلة بالموضوع)(٧٤)، وفي حال خرق المتحاورون هذه القاعدة فإنّهم قد يقصدون التلويح بمعانٍ ضمنيةٍ مستلزمة، ولهذا النوع من الاستلزامات الحوارية أمثلة في أسلوب القرآن الكريم، تناولها الباحثون بالتحليل، كلٌّ بحسبه، إذ وجد الدكتور (عبد الله صولة) في هذا النوع من العدول، الذي يسميه (العدول النسقي) قوةً حجاجيةً تتمثّل في توجيه الحوار الوجهة التي يريدها القرآن الكريم، بأسلوبين بلاغيين، هما: الأسلوب الحكيم، وأسلوب الهدم(٧٥)، والأسلوب الحكيم هو: « تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه أولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له»(٧٦). والذي حدا بالدكتور(عبد الله صولة) إلى عدّ الأسلوب الحكيم من قبيل العدول النسقي ولا سيما على المستوى الدلالي، هو كون محتوى الجواب فيه غير مطابق دائماً لمحتوى السؤال، في حين أنّ الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال، ومن الأمثلة القرآنية على الأسلوب الحكيم، ذكر الدكتور خمسة أمثلة جاء السؤال فيها صريحاً، وورد الجواب عليها بطريقة يفهم منها أن محتوى الجواب جاء عدولاً عن محتوى السؤال(٧٧)، وهي:(۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا)(البقَرَة :)(يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ)البقَرَة :).(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ)(٢٤الشُّعَرَاء :)(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(١٨٥الإِسْرَاء) (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) (٤٩يس :)، فإن الأسئلة في هذه الأمثلة دقيقة، تتعلق بمعرفة حقيقة المسؤول عنه، وحدّه، وماهيته، وميقاته، وعلى الرغم من ذلك فإن الأجوبة واقعة ظاهرياً في غير موقعها، وواردة في غير وجهها؛ إذ لم يُجب القرآن الكريم بذكر الحدّ، أو بذكر التوقيت الدقيق، أي إنّه خرقَ مبدأ المناسبة، ووجّه الدكتور(عبد الله صولة) هذا العدول، وجواب القرآن في كل مرة، بذكر البعد العملي أو التأثيري للمسؤول عنه، بقوله: » وهذا قد يعني أن القرآن ليس كتاب علم وضبط وتحديد وإنما هو كتاب أخلاق ومُثُل عليا ومحاجّة»(٧٨). ولو كان الجواب دقيقاً لاعترضوا عليه؛ لأنّهم أصحاب جدل، ولأن الجواب قد يجيء على غير ما يعرفون من حقائق العلم فيزدادوا نفوراً، في حين كانت أجوبة القرآن الكريم المعدول فيها عن الجواب الدقيق ذات أبعادٍ حجاجيةٍ مختلفة، وكانت طريقة القرآن الكريم في أجوبته هي الطريقة المثلى من الناحية الحجاجية.

ثمَّ انتقل الدكتور (عبد الله صولة) للحديث عن أسلوب قرآني آخر في العدول النسقي (خرق مقولة المناسبة)، يتمثّل في أسلوب (الهدم)، وحدَّه بقوله: «هو أن يأتي غيرك بكلام تضمَّن معنى فتأتي أنت بضدّه فكأنّه قد هُدم ما بناه المتكلم الأوّل»(٧٩). ويرى أنّ هذا الأسلوب يُمثّل انتقالاً من صوت الخصوم إلى صوت الله سبحانه، إذ يذكر القرآن الكريم أقوال الخصوم ثمّ يعقّب عليها بالهدم، وقدّم أمثلةً على ذلك:

المثال الأوّل: قوله تعالى:(وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)(المَائِدَة :).

المثال الثاني: قوله تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)(٣٠:التَّوْبَة).المثال الثالث: قوله تعالى:(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ) ١ :المُنَافِقُون :) ويرى الكاتب أنّ الهدف من هذا العدول النسقي الوارد في هذه الأمثلة القرآنية، والمطّرد في القرآن الكريم، هو عرض حجج الخصوم ثمّ دحضها، مما يجعل القرآن الكريم ساحةً نقاشيةً، تنتقل فيها المعركة من الأفعال إلى الأقوال، ومن الواقع إلى النصّ القرآني، الذي تكون له الكلمة الأخيرة دائماً، فالقرآن الكريم يعرض قوال الخصوم ثمَّ ينسفه، سواء بالأسلوب الحكيم أم بأسلوب الهدم، ملفتاً الانتباه إلى ميل القرآن الكريم لنقل المعركة التي تدور بين الأعداء والرسول(صلى الله عليه وآله). إلى ميدان النص والكلام، إذ يهزم الأعداء ولا يستطيعون المجاراة(٨٠).

لا يخفى أن تحليل الدكتور (عبد الله صولة) لظاهرتي (الأسلوب الحكيم، وأسلوب الهدم)، في النص القرآني يكشف عن فهم عميق للخطاب القرآني كآليّة تداوليّة محكمة. عندما يذكر القرآن الكريم أقوال الخصوم ثمّ يدحضها، فإنّه لا يخرق مقولة المناسبة عن عبث، بل يفعل ذلك بنحوٍ استراتيجي وبلاغي، هذا الخرق المقصود يخدم غرضاً أعمق؛ إذ يُظهر بطلان حجج الخصوم، وينقل المعركة الفكرية من الواقع إلى النص القرآني؛ ليحسمها بنحوٍ قاطع، كذلك في الأسلوب الحكيم، إذ يتم توجيه الخطاب بطريقة تبدو وكأنها تحيد عن الموضوع الظاهري، لكنها في الحقيقة توجّه المتلقي نحو الحقيقة الأعمق والأكثر ملائمة، مما يعكس براعة الخطاب القرآني في الإقناع والإفحام، وأيضاً براعة الباحث في ملاحظة دقّة النص القرآني وبلاغته، وتقديم تفسيرٍ مقنعٍ جداً لهذه الظاهرة القرآنية؛ لذلك فإنّ هذا التحليل وأمثاله يمثّل مساهمة قيّمة في مجال التوجيه التداولي للنص القرآني.

رابعاً: خرق مقولة الطريقة: وضع (غرايس) تحت هذه القاعدة، قاعدةً عليا هي: (لتكن واضحاً)، فضلاً عن قواعد أخرى، مثل: تجنُّب غموض العبارة، تجنُّب اللّبس، الإيجاز: بمعنى تجنّب الإطناب الذي لا موجب له، والتنظيم(٨١). وذكر (غرايس) أنّ هذه المقولة تختلف عن المقولات الأخرى التي تتصل بما قيل؛ إذ تتصل مقولة الطريقة بالكيفية التي ينبغي بها قول ما قيل. هذه المقولة تركّز في الكيفية التي يُصاغ فيها القول، هل هو واضح؟ مرتب؟ موجز؟ يعوّل (غرايس) على أن يوضّح المشارك في الخطاب مساهمته، وأن يضع كفاءته موضع تنفيذ بسرعة معقولة؛ إذ يرى أن الناس اعتادوا التعاون والتصرّف بناءً على هذا المبدأ منذ الصغر، ويؤكّد أنّ قول الصدق (مثلاً) أسهل بكثير من الكذب(٨٢)، وعليه يُفترض أن المشاركين في أيّ حوار يلتزمون بهذا المبدأ بنحوٍ تلقائي، وإنّ أيَّ انتهاكٍ متعمّدٍ لهذا المبدأ قد يكون وسيلةً لإحداثِ استلزامٍ حواريٍّ مقصود.

بناءً على ذلك فإنّ المأمول من البحث عن المواضع التي يمكن أن تُقدّم فيها أمثلة قرآنية على (خرق) مقصود لقاعدة الوضوح، لا يعني في نظر الباحثين وجود غموضٍ أو لبسٍ حقيقيٍّ في النصّ القرآنيّ، بل للبحث عن سياقٍ قرآني لإنتاج استلزامات حوارية أو إيحاءات بمعانٍ تتجاوز المعنى الظاهر، مما يدفع المتلقي إلى البحث والتأمّل للكشف عن هذه المعاني المستترة. ولا شكّ في إنّ الباحثين لا يبحثون عن قصورٍ في بلاغة القرآن الكريم، بل عن

الطبقات الدلالية العميقة التي تتطلّب تأويلاً وفهماً، والتي قد تبدو للوهلة الأولى (خرقاً) للوضوح الظاهري وهي في حقيقتها إثراء دلالي مقصود. يتّضح ذلك من الأمثلة التي تناولها الباحثون على خرق مقولة الطريقة، فيما يأتي:

أولاً: خرق مقولة الطريقة باستعمال استراتيجية الإطناب: ذكرت الدكتورة (جنان البلداوي) قوله تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه:(وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)(٥٢الزُّخْرُف :)، مثالاً على خرق مقولة الوضوح بالإطناب؛ إذ كان يكفيه قول: أنا أحقُّ بالملك من موسى _ عليه وعلى نبيّنا وآله السّلام _، لكنّه أطنب مؤطّراً قوله بأسلوب الاستفهام التقريري؛ ليتمكّن من إقناعهم بأحقيّته بالملك(٨٣).

ثانياً: خرق مقولة الطريقة باستعمال استراتيجية اللبس: مثّلت له الدكتورة (جنان البلداوي) بقوله تعالى:(هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ)(١٨البُرُوج :)؛ لأنّ الله تعالى يعلم أنه قد سرد لنبيه(صلى الله عليه وآله). قصص تلك الأمة، وعليه فإنّ الاستفهام في الآية غير حقيقي، ومع افتراض مبدأ التعاون يستلزم المعنى الضمني، وهو التهويل(٨٤).

تمثّل هذه الأمثلة القرآنية مجالاً بحثياً خصباً لتطبيق مفاهيم نظرية الاستلزام الحواري؛ وذلك لأنّ النص القرآني ذو طبيعة تداولية توفّر أرضية غنية للدراسة، ولا يمثّل هذا التوجّه إشكالاً، بشرط التزام الباحثين بالحفاظ على قدسية النص القرآني، ومشروعية التأويل، بما يضمن منهجية علمية تحترم خصوصية النّص الأقدس.

الخاتمة:

يُظهر البحث كيف يمكن للتوجيهات التداولية أنْ تُسهم في تقديم فهمٍ أعمق للنصّ القرآني، من خلال تحليل متضمّنات القول التي تتجاوز ظاهر الألفاظ، بل تُستَجلى من السياق والمقام ومقاصد الخِطاب. وقد أظهر التفاعل بين النظرية التداولية وموروث البلاغة العربية أنّ القرآن الكريم يعتمد استراتيجيات تواصلية دقيقة، تحمل معانٍ ضمنيةٍ تتجاوز البُعد الحرفي من دون أنْ تعارضٍ مع مبدأ الصدق في النص الإلهي. وقد توصل البحث إلى أن بعض الخروقات التداولية، مثل خرق مبدأ الكم أو مبدأ الكيف، لا تمثّل عيبًا أو نقصًا، بل هي أدوات بلاغية مقصودة تُسهم في تحقيق غاياتٍ بيانيةٍ وتواصلية، الأمر الذي يثري الفهم اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم. ويؤكد البحث وجود مغالطة كبيرة في تطبيق قاعدة الصدق على أقوال الله تعالى المباشرة، بدعوى أن المجاز فيه خرق لتلك القاعدة، ويوصي بضرورة توقف هكذا تعامل مع النص القرآني المقدّس، وتكييف الأدوات التداولية لتناسب الخصوصية التي يتفرّد بها النّص القرآني؛ بأنّه خطابٌ إلهي المصدر.

الهوامش:

(*) بول غرايس: (١٩١٣ ـ ١٩٨٨) من فلاسفة اللغة، من أصل انجليزي قضى جانباً هاماً من حياته في الولايات المتحدة الأمريكية حتى توفي فيها. أسهم في توجيه الدراسة الفلسفية إلى تدبر المعنى وكيفية تشكّله في اللغة، ونبّه على أهمية فهم آليات المحادثة واستصفاء قوانينها والمنطق الذي يتحكم في استلزام المعاني زمن التلفظ. (اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية) ٢ / ٦١١.

١. ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس د. صلاح إسماعيل١٣.

٢. ينظر: دور التداولية في الدرس اللغوي، د. أحمد شكيب بكري، ١٤.

٣. المحاورة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح ١٦٣.

٤. ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري د. أحمد المتوكل ٢٨.

٥. ينظر: التكوثر العقلي د. طه عبد الرحمن ٢٣٨.

٦. ينظر: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية، المنطق والمحادثة ٦١٩. ٦٢٠. والتداولية أصولها واتجاهاتها

جواد ختام ،١٠١. ١٠٢. والتكوثر العقلي ٢٣٨ . ٢٣٩.
٧. اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري، د. أحمد المتوكل، البحث اللساني والسيميائي ٢٠.
٨. الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. المثل السائر ٢/٣٤٤.
٩. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ٦٩.
١٠. الصاحبي ٢٩٤.
١١. البرهان في علوم القرآن ٢/٢٠٤.
«استفهام الايناس مثل له السيوطي بقوله تعالى (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧)، وقيل هي للتقرير فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا انقلبت حية». معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب ١٨٦/١.
١٢. البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٢.
١٣. ينظر: الإتقان ٢٧٣/٣.
١٤. أساليب المعاني في القرآن ١٠٧.
١٥. ينظر: معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم د.مخيمر صالح ٢٥.
١٦. ينظر: البحث اللساني والسيميائي ٢٠ . ٣٠، والتداوليات علم استعمال اللغة ٢٩٢ . ٣٠٥، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ٩٣ . ١٠٣.
١٧. البحث اللساني والسيميائي ١٨.
(*) (السكاكي ٥٥٥ . ٦٢٦ هـ) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه (مفتاح العلوم). الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٢٢/٨.
١٨ ينظر: البحث اللساني والسيميائي ٢٣ . ٢٤.
١٩ ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ٨٧.
٢٠. التلخيص في علوم البلاغة ٥ . ٥٦.
٢١. البلاغة فنونها وأفنانها ٢٥٢/١.
٢٢. الاستلزام الحواري نحو مقاربة تداولية معرفية للخطاب القرآني، ١٠٦.
٢٣. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
٢٤. التحرير والتنوير ١٦ /٢٠٥. وينظر: الاستلزام الحواري ١٠٦.
٢٥. ينظر: الاستلزام الحواري ١٠٧.
٢٦. ينظر: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم، عبد المنعم السيوطي ١١٠ . ١١١.
٢٧. جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم، عبد المنعم السيوطي ١١٠ . ١١١.
٢٨. جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم ٣٧.
٢٩. المنطق والمحادثة، ت محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، في إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦١٩.
٣٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٢٥٢.
٣١. ينظر: الحجاج في القرآن، عبد الله صولة، ٢٤٠ . ٢٤١ . ٢٤٢.
٣٢. المصدر نفسه ٢٤٢.
٣٣. المصدر نفسه ٢٤٥.

٣٤. الحجاج في القرآن ٢٦٠.
٣٥. ينظر المصدر نفسه ٢٩١.
٣٦. المنطق والمحادثة، في إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية، ٢ /٦٢٠.
٣٧. الاستلزام الحواري ١١١، ١١٢.
٣٨. الاستلزام الحواري ١١٣.
٣٩. المنطق والمحادثة، في إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية،٢ /٦٢٠.
٤٠. المصدر نفسه ،٢/٦٢١.
٤١. استراتيجيات الخطاب ٤١٤.
٤٢. ينظر: المصدر نفسه ٤١٧. ٤١٨.
٤٣. مدخل إلى دراسة التداولية، فرانثيسكويوس راموس، ٧٠.
٤٤. الكشّاف ٣ / ١٢٤.
٤٥. مجمع البيان ٩٧/٧.
٤٦. ينظر: الاستلزام الحواري في قصص الأنبياء، د. دلخوش جار الله حسين و د. تارا فرهاد شاكر، مجلة العلامة، مجلد ٤، عدد ٩ /٢٠١٩، ص٩٠. ٩١.
٤٧. الاستلزام الحواري ٢١٩.
٤٨. الاستلزام الحواري ٢٢٠. وينظر: التحرير والتنوير ٢٣ /١٤٣.
٤٩. الأنبياء :٦٢. ٦٣.
٥٠. التحرير والتنوير ٢٣ / ١٤٣.
٥١. مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٩٧.
٥٢. روح المعاني ١٦ / ٩٥. ٩٦.
٥٣. جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم،٧٧، و١٦٣.
٥٤. جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم ٧٧. ٧٨.
٥٥. المصدر نفسه: ١٦٧.
٥٦. ينظر: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم: ١٧٩. ١٨٠.
٥٧. ينظر المصدر نفسه ١٦٣. ٢٢٤.
٥٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ١ / ٤٦.
٥٩. المصدر نفسه ١/ ٨٣.
٦٠. ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري ١٦٦.
٦١. تأويل مشكل القرآن ١٣٢.
٦٢. أسرار البلاغة ٢٧٢.
٦٣. ينظر: أسرار البلاغة ٢٧٢. ٢٧٣.
٦٤. ينظر: أسرار البلاغة ٢٧٤. ٢٧٥.
٦٥. أسرار البلاغة ٢٧٥.
٦٦. الإتقان في علوم القرآن ٣ / ١٠٩.
٦٧. الاستلزام الحواري ٢٢٢.
٦٨. المفردات في غريب القرآن ١١٥.

٦٩. غريب القرآن ٤١٩.
٧٠. الاستلزام الحواري ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
٧١. البراجماتية اللغوية ١٥٧ ـ ١٥٨. بتصرف.
٧٢. ينظر: الاستعارات التي نحيا بها ١٦٣ ـ ١٦٤.
٧٣. اللغة والمنطق ٢١٨.
٧٤. ينظر: المنطق والمحادثة، في إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٦١٩/٢.
٧٥. ينظر: الحجاج في القرآن ٤٦٥ ـ ٤٧٤.
٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢٠١.
٧٧. ينظر: الحجاج في القرآن ٤٦٦ ـ ٤٦٧.
٧٨. الحجاج في القرآن ٤٦٨.
٧٩. المصدر نفسه ٤٧٢.
٨٠. الحجاج في القرآن الكريم ٤٧٢ _ ٤٧٣.
٨١. ينظر: إطلالات على النّظريات اللسانية والدلالية ٦٢٠/٢.
٨٢. ينظر: المصدر نفسه ٦٢١/٢ _ ٦٢٢.
٨٣. ينظر: الاستلزام الحواري ٢٥١ _ ٢٥٢.
٨٤. ينظر: المصدر نفسه ٢٥٣.

المصادر:

١. الإتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي: د. نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ٢٠١٣م.
٢. الإتقان في علوم القران: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، من اصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية.
٣. أساليب المعاني في القران: السيد جعفر باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي،١٤٢٧ق.
٤. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
٥. الاستعارات التي نحيا بها: جورج لايكوف ومارك جونسن، ت. عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
٦. الاستلزام الحواري نحو مقاربة تداولية معرفية للخطاب القرآني: د. جنان سالم البلداوي، دار قناديل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٢١.
٧. أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١.
٨. إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معربة بإشراف وتنسيق د. عز الدين مجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) قرطاج ٢٠١٢.
٩. اقتراحات الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري: د. أحمد المتوكل، البحث اللساني والسيميائي.
١٠. البحث اللساني والسيميائي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى ١٩٨٤.
١١. البراجماتية اللغوية: ستيفن ك.ليفنسن، ت. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
١٢. البرهان في علوم القران: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.

١٣. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: د. محمد العمري، افريقيا الشرق. المغرب الطبعة الثانية ٢٠١٢م.
١٤. البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١١ ٢٠٠٧م.
١٥. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث. القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣.
١٦. التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
١٧. تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات: د. محمد محمد يونس علي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
١٨. التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٣٢م.
١٩. جماليات الاستلزام الحواري في القران الكريم: د. عبد المنعم السيوطي، أطروحة دكتوراه جامعة عين شمس كلية الآداب ٢٠٢٠م.
٢٠. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢١. روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الالوسي المتوفى ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت. لبنان.
٢٢. الصاحبي: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٢٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الاعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية. مصر ١٩١٤م.
٢٤. غريب القران: ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.
٢٥. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.
٢٦. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، الطبعة الثالثة ٢٠١٢م.
٢٧. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: د. أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الثانية ٢٠١٠م.
٢٨. اللغة والمنطق بحث في المفارقات: د. حسّان الباهي، منشورات ضفاف، الطبعة الأولى، لبنان ٢٠١٥م.
٢٩. مجلة العلامة، مج٤، ع٩، ٢٠١٩، الاستلزام الحواري في قصص الأنبياء: د. دلخوش جار الله حسين، د. تارا فرهاد شاكر.
٣٠. مجمع البيان في تفسير القران: أبو علي الفضل الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.
٣١. المحاورة مقاربة تداولية: د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
٣٢. مدخل إلى دراسة التداولية، فرانثيسكويوس راموس، ترجمة وتقديم يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
٣٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) دار الكتب العلمية بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٣٤. معجم الأساليب البلاغية في القران الكريم: د. مخيمر صالح، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن. إربد٢٠٠٥م.
٣٥. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
٣٦. المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٣٧. المنطق والمحادثة: بول غرايس، ترجمة محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، في إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية.
٣٨. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: د. صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb